أزمة ايمان واخلاق

عن اىشىء اتحدث؟ ان الاحاديث كثيرة والشجون كثيرة واذا كثرت الاحاديث والمعانى تحير الانسان. ولكن سأحدثكم عن شيء أؤمن به واعتقده، و لن احاول ان اشبع رغبتكم او ان ارضى اسماعكم، بل حسبى ان ارضى نفسى وضميرى و ايمانى، فاذا ارضيت ضميرى اكون قد ارضيتكم.

لن احدثكم حديثا علميا ولا تاريخيا، فقد أتخمنا بهذه الاحاديث، و فيكم من يملؤكم علوما و معانى و خطابات ..

ازمة ايمان واخلاق

تسمعون الناس يتحدثون عن الازمات و المشاكل — و هذا العصر هو عصر الازمات والمشاكل — يتحدثون عن ازمات اقتصادية، وازمات سياسية، و يتحدثون عن ازمات الحكم و ازمات الاجتماع، ولكنى اعتقد ان هناك ازمة واحدة لاثانية لها هى ازمة الايمان .. ازمة الاخلاق، سيحوا فى الارض و شاهدوا الامم والشعوب، فانكم سترون ان هذه الانسانية بمختلف الشعوب والاقطار فى انحاء العالم كله — تعانى ازمة واحدة هى: «ازمة الايمان والاخلاق». هى كارثة الكوارث، وهى مصيبة المصائب، وكل مشكلة تحدث

الناس عنها واشتكوا منها ترجع الى هذه الازمة ، والشىء الوحيد الذى فقد وبفقده وقعنا فى هذه المصيبة العالمية هو الايمان ، والشىء الوحيد الذى اعتل وباعتلاله اصبحنا نواجه هذه المشاكل كلها فى نطاق الافراد والمجتمعات والحكومات والاوضاع العالمية هو الاخلاق .

اصل البلاء عبادة النفس

ان الناس اشباه ، ولم يزالوا ، واننا بشر والذين يحكموننا بشر ، ولكن الذى يسيطر على العالم هو هذه الازمة الايمانية الاخلاقية ، ان كثيرا من الناس يعتقدون ان الشأن فى الحكومات والاحزاب ، فاذا ذهبت وزارة وجاءت اخرى ، واذا ذهب حزب وجاء آخر فقد انحلت الازمة وانقشعت المشكلة ، ان هذا حكم خاطىء ومستعجل ومبنى على قصر النظر : ليست المسألة مسألة احزاب او حكومات او شىء من التعديلات ، ان المسألة مسألة العقلية والاعتقاد والنفوس والقلوب ، فاذا لم تتغير هذه العقلية واذا لم يتغير الاعتقاد واذا لم تتغير النفوس والقلوب فلا فائدة فى هذه التغيرات ، وان تبدل حزب بآخر ، او حكومة باخرى لا يقدم ولا يؤخر ، ان الافراد كلهم يلتقون على الخضوع للمادة والاستئثار وخدمة النفس ، وهذه النفس قد تقصر فتصبح نفسا فردية وقد تتسع

فتصبح نفساحزبية او جماعية ، ان هذه العقلية هى التى تسيطر على العالم كله وكل ماتعانى من فساد الاوضاع مرده الى فساد هذه النفوس و هيمنة هذه العقلية الخاضعة للمادة ، الخادمة للمصلحة ، المستأثرة الانانية .

هذا هو الداء ايها الاخوان فلا تخدعوا انفسكم ، وكلما جردتم النظر ونزلتم الى اعماق الحقائق فانكم ستجدون ان اصل البلاء هو شئ واحد (هو عبادة النفس) فاذا لم تتغير هذه النفوس التى تعبد المادة فلن تتغير هذه الاوضاع ابدا .

حقيقة الصراع بين الدول

ان هذا التنافس الذى تتحدث به الصحف والذى قد يؤدى الى حروب طاحنة — تستمر سنين طوالا تطحن الامم — هو تنافس فى الاغراض فقط لا تنافس بين الخير والشر ، وان هذا الاصطراع القائم بين الامم الاوروبية ليس معناه ان امة منها تريد ان تسيطر على العالم لتقضى على هذه الاوضاع الفاسدة ولتخدم الانسانية و تنفذ قوانين الله وتحارب الفساد وتساوى بين الناس وتقيم القسط والعدل وتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، و تقيم الصلاة و تؤتى الزكاة كما قال تعالى : الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ،

لا يا ايها الاخوان انما هو تنافس على القيادة كل امة تريد ان تمتلك الحكم لتنفذ شهواتها انما النزاع فيمن يكون صاحب الامر والنهى وتكون له قوة ارضاء الشهوات وخدمة المصالح الذاتية والحزبية.

فبريطانيا وحليفاتها — مثلا — لم تكن تنازع المعسكر الشيوعى لتقيم القسط والحق، وكذالك لم يكن المعسكر الشيوعى فى وقت من الاوقات لينازع الاحلاف الاوروبية فى سبيل اقامة العدل لانه لم يكن حريصا على اقامة الدين والفضيلة انما يصارع ويحارب ليكون هو المعسكر الوحيد فى العالم الذى يهيمن على وسائل وامكانيات البشرية؟ وليحتكر التجارة العالمية ليس لمصلحة البشرية، بل ليكون الذين يؤمنون بمبادئه وينضمون اليه يسعدون على حساب الامم والشعوب التى يسيطر عليها.

ان مرد هذه المصارعات كلها هو شهوة النفس وعبادتها ومالم تتغير هذه النفسية الشريرة الفاسدة المتعفنة فلا مطمع فى صلاح العالم او سعادته ورفاهه.

المهم او الاهم — ايها الاخوة — ان يتغير الانسان، ان كل شئ فى هذا العالم خاضع للانسان والانسان خاضع لنفسه وضميره وعقيدته فاذا كانت هذه صالحة كان الانسان صالحا واذا صلح الانسان صلح العالم (الا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب).

لقد اصبح الناس مؤمنين بحكم مايكتب ويقال من اناس لم يتعمقوا فى العلم ــ بان صلاح العالم هو فى وجود حكومة على اساس كذا وكذا ، او فى تولى الرجل الفلانى او الحزب الفلانى الحكم ومادروا ان المجتمع فاسد لفساد الضمائر والقلوب ومالم تصلح فلا يؤمل الصلاح . هذا ايها الاخوان قول مجرب خبير لا قول انسان منطو على نفسه ، قول رجل تهيأ له ــ بحمد الله ــ من الدراسة العميقة الشئ الكثير .

قد يدخل الرجل الى غرفة مظلمة فلا يستطيع ان يجد طلبه اذا لم يفتح الزر الكهربائى ، ولكن الرجل الخبير بمجرد دخوله الغرفة يعرف موضع الزر فيفتحه فيسرى النور فى التيار ويضئ جنبات الغرفة ويقضى الرجل حاجته . وهذا هو شأن الانبياء عليهم السلام ومن سار على اثرهم ــ هذا الزر هو الايمان ، اذا فتح انطلقت منه موجة النور لتضئ العالم كله .

انى ارى رجالا فى البلاد العربية والاسلامية وغيرها يبدون كبارا فى العقل والتفكير والتجربة . ولكنى استغرب ــ ان تفكيرهم قاصر غير ناضج » يتكلمون عن المشاكل حديث رجل لم يتعمق ولم يرسخ يتحدثون عن مشاكل السياسة والاجتماع

ويعتقدون انه اذا جاء الحزب الفلاني ذهبت المشكلة فاذا ماجاء الحزب واجهنا نفس المشكلة بل ما هو اكبر منها وكثيرا ما نواجه مشاكل جديدة اخرى ، ثم نجرب حزبا آخر فاذا هو شر من الاول وصدق الشاعر اذ قال :

الا انما الايام ابناء واحد   وهذى الليالى كلها اخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة   خلاف الذى مرت به السنوات

الى متى تجرى هذه التجارب على الانسان المسكين ؟ والى متى نفحص ونشرح ثم نرجع من غير طائل ؟ ان الانبياء يمنحونا العلم اليقيني ويعطونا العلاج الشافى.

الافراد قبل المجتمع

ان المسألة مسألة النفوس ، وما دمنا معرضين عن هذه الحقيقة فسوف نبقى نعانى متكلة بعد مشكلة.

ان من مصائب هذه المدنية الاعراض عن الافراد ، فقد اثرت العلوم العمرانية بالنفوس حتى اصبحت تعتمد على المجموعات والمؤسسات والهيأت الاجتماعية والحكومات دون الاهتمام بالافراد مع ان الافراد هم اساس المجتمعات والحكومات والاحزاب والمؤسسات - نقول لهم : ايها السادة دونكم الافراد فاصلحوهم وهيئوهم لهذا الهيكل

الذئب ذئب ولكنهــا اذا اجتمعت الذئاب اصبحت راعية ؟

ان الجمرة تحرق البيت، ولكنها اذا اجتمعت الجمرات اصبحت بردا وسلاما ؟؟

هذا شئ مضحك . ولكن اليس هذا هو الاساس الذى يعمل فى المدرسة والحكومة والمحكمة ؟؟

من اين جاءت الحكومة والقضاة والجنود؟ اليس اكثر فاسدين ، ودون المستوى الواجب ؟ فكيف تتحول هذه العصابات المجرمة الى مجموعة صالحة رفيعة المستوى عالية فى الاخلاق ؟

العالم كله ـ مع الاسف ـ خاضع لهذا المنطق ، حتى فى المستويات العلمية .

ان مدراء البلديات والجامعات والمؤسسات العلمية والحكام لوكانوا فى الزمن الاول لما استحقوا اقل من الطرد ، بل لكانو فى السجون . ولو ارادوا ان يشغلو وظيفة حقيرة ما استحقوا ..

لقد طغت هذه العقلية على الانكار حتى اصبح الذى يثير مسألة الافراديتهم بالرجعية .

طريق الاصلاح

يا اصحاب القلوب المؤمنة انتم المجتمع على قسمات وجوهكم وضمائركم وعقو لكم يرقد المستقبل الزاهر الذى نؤمله، فهيئوا نفوسكم تهيئة روحية خلقية علمية ايمانية، هذا هو نداء الوقت و واجب الساعة وجهاد اليوم.

لقد وجدت الحديث عن العالم الاسلامى حديث كل بلد حللته، وزرت فيه اخواننا، وهو حديث كل مجلس حضرته ان العالم الاسلامى حقيقة قائمة تسعى على قدميها، لا ينكر فضله الا جاهل او احمق.

انا اؤمن به و شاهدته فى الهند و باكستان وتركيا و سوريا و مصر، و انتم ايها الاخوان جزء من العالم الاسلامى. اذا كنتم تعتقدون انه يعيش بغيركم وليس عليكم مسؤولية فأنتم مخطئون، ولكن اخشى ان كثيرا ممن يهتمون بكل شيئ غير نفوسهم، وهذا هو الواقع فعلا ـ انا افكر فى العالم ولكن انا كذالك جزء منه، فلاصلح هذا الجزء. ولكنى ارى كثيرا من اخوانى لا يفكرون فى نفوسهم و يعتقدون ان العالم الاسلامى هو كل ما يغاير نفوسهم.

علينا ان نصلح نفوسنا وليعتقد كل منا انه مسؤول فاذا صلحت هذه الاجزاء صلح العالم الاسلامى ان مثلنا ايها الاخوان. كمثل ملك اعلن انه يريد حوضا مملوءا باللبن «الحليب» وانه سيدفع الثمن لكل من يجلب الحليب. فقال احد اللبانين - لو افرغ كل لبان سطلا من ماء فان هذا الماء لايؤثر فى الحليب الكثير، فافرغ سطل ماء بدلا من حليب. وفكر آخر نفس التفكير، وهكذا سرت الفكرة بين الجميع، وجاء الملك فى الصباح فوجد حوضا من ماء.

هذه قصتنا. ان كل فرد منا يقول اذا فسدت فماذا يضر العالم الاسلامى؟ وبهذا اصبح كل العالم الاسلامى فاسدا لو فكرتم لرأيتم ان كل حديثكم عن غيركم.

اصلحوا نفوسكم ايها الاخوان. ومالكم وهذه القضايا التى لا تستطيعون خدمتها.. ان الاشتغال بالغير سهل، ولكن الاشتغال بالنفس صعب. والانسان يحب السهولة. ولذلك اندفع العالم الاسلامى كله الى الاهتمام بغيره. هذا تفكير يجب ان يعالج.

انتم العراق. واذا كنتم العراق فانتم جزء من العالم الاسلامى فيجب على كل منا ان يهيء نفسه ليكون لبنة صالحة للبناء.

لـكن فتية مجاهدة مؤمنة صادقة ، طاهرة النفس ، واضحة التفكير ، عميقة الجذور ، قوية العاطفة ، فائضة القلب . فاذا كنا كذلك فصدقوني اننا نستطيع ان نغير تيار الفساد .

الازمة ازمة رجال » فاين الرجال ، وان كثيرا من الناس يحرصون على الحكومات ويعتقدون انها هي المفتاح ولكن يسير الحكومة الرجال . فمن هم هؤلاء الرجال و كيف هم ؟ هذا هو داء العالم الاسلامى فانتم هيئوا نفوسكم لمعركة المستقبل » معركة الاخلاق » والاخلاص ». والتضحية اذا وجد رجل واحد يستطيع ان ينسى نفسه و مصلحته و مصلحة اسرته واصدقائه وحزبه ويستهدف مصلحة بلده وامته لاستطاع ان يحدث انقلابا .

امثلة حية

كان الجو قاتما والعالم الاسلامى يعانى مشكلة عظيمة وكان الولاة جائرين والجهاز فاسدا والمظالم سائدة والحقوق تمتهن والناس غير آمنين وكان العالم الاسلامى من شرقه لغربه ومن شماله لجنوبه يعانى مرضا مرهقا ـ جاء رجل

واحد هو « عمر بن عبد العزيز » عرف ربه ونسى نفسه وذكر اليوم الاخر فاستطاع ان يغير هـذا التيار ويرغم العالم الاسلامى ان يتجه الى الصلاح ، اين الافراد ؟ واين من ينتجونهم ؟ هـل تنتجهم الكليات والمعاهد ؟ لا .. انما يريبهم الايمان وتنتجهم العقيدة والاخلاق .

فكلمتى لكم ان تهيئوا نفوسكم ، ربوا فيها الايمان والعقيده .. كونوا مؤمنين بالله واليوم الاخر ومصلحة الاسلام -- كونوا رجالا اذا دانت لهم البلاد واصبحوا يملكون ازمة الامور لم يغيرهم الوضع الفاسد عما كانوا عليه ... هذا كان شأن الصحابة ، كانوا ضعفاء ، فقراء ، لا يملكون مايكسون به اجسامهم . ويشبعون به بطونهم فدانت لهم الدنيا وتفتحت لهم الخزائن ، فما تغيروا . كانو ابو عبيدة وسعد كما كانا ، رجاء سلمان الى العراق والياً ، فخرج الناس لاستقباله فرأوه يحمل على رأسه حملا لرجل على اجرة .

سبب الانهيار

ان العالم لم يفسد الا لما فسد الافراد وفقد هذا الطراز الذى تخرج فى مدرسة « محمد » . نحن فى حاجة الى هـذا

الطراز، وهو لا يرتجي الا منكم، من مثل هذا الشباب المسلم المؤمن الصادق الذى يوطن نفسه على الشظف والحياة البسيطة. ان من امراض الامة العربية هذا التنعم والتبذير والعادات القاصرة، لا يستطيع احدهم ان يعيش من غير سيارة و بيت فخم وراتب ضخم. ان هذه الامراض قعدت بامتنا » وهذا هوكان داء الرومان والفرس، فقد اسرفوا فى المدنية والتنعم، يدل على ذالك انه لما زحف المسلمون على المدائن وفتحوها، خرج « يزدجرد » يحمل معه الف طباه والف مرب للبزاة والصقور، ويقول انى فى حالة يرثى لها.. اخذت هؤلاء فقط...

الى هذا الحد وصلت مدنيتهم ولذلك انهارت هذا الانهيار الفظيع. كان الذى يلبس قلنسوة قيمتها دون « ٥٠ » الفا يعير، وكانوا يلبسون مناطق بقيمة « ٢٥ الى ٥٠ » الف مرصعة بالجواهر والياقوت، فهذه المدنية الزائفة هى التى جنت عليهم فخسروا الدولة والشرف والمجد والحياة.

نبداء

فهيئوا نفوسكم للجهاد والدعوة » واذا قلدتم امانة فاحسنوا القيام عليها.. هذا وصيتى لكم وربما لا تقيمون وزنا لها

تربية اسلامية عميقة شــاملة للاخلاق والتفكير حتى اذا نشات النفوس انطلقت الموجة وكان ماكان.

اقول وانا مخلص ناصح اهتموا بانفسكم اهتماهــاديناً، خلقيا، تربويا، فكريا، وامنوا بانكم انتم العالم الاسلامى كما قال الشاعر (وفيك انطوى العالم الاكبر)
اذا صلحنا صلح العالم الاسلامى واذا صلحت الاجزاء صلحت المجموعة.

اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

للمؤلف

١ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

٢ مذكرات سائح فى الشرق العربى

٣ الى الاسلام من جديد (نفد)

٤ مختارات من الادب العربى

٥ القصص الراشده ١، ٢، ٣

٦ قصص النبين ١، ٢، ٣

٧ منحى جديد فى التاريخ الاسلامي (قيد الطبع)

٨ بين الانسانية واصدقائها

٩ بين الصورة والحقيقة

١٠ الى شاطئ النجاة

١١ معقل الانسانية